The impact of trade relations on the prosperity of the economic activity of the ports of Central Morocco (Century 5-7 A.H./11-13 A.D.)

Lateef J. Hammadi
University of Anbar- College of Arts
Prof. Dr. Othman A. Saleh
University of Anbar - College of Education for Human Sciences

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v2i141.3695

Abstract:

Economic activity is the backbone of life and the basis for the establishment and continuity of states, as it is the main guide for them, and through which their position is measured, and given the important role played by this aspect in the emergence and development of the ports of Central Morocco, this study came tagged with the impact of trade relations on the prosperity of the economic activity of the ports of Central Morocco during the period (Q. 5-7 AH/11-13 AD), which includes two sections, the first section dealt with trade relations with the countries of the Islamic world, in addition to talking about the most important commodities and merchandise exchanged between the ports of the Middle Maghreb and Islamic countries, while the second topic dealt with the talk about trade relations with European countries.

The importance of the issue lies in the fact that trade exchange greatly contributed to the emergence of economic activity in the ports of Central Morocco, which in turn was reflected in the general public or at the level of existing countries as a result of obtaining funds through the imposition of duties and taxes on goods and merchandise, and all other business that takes place on the land of the port, which led to the emergence of population centers and the establishment of commercial cities filled with imported goods, as well as what is rich in agricultural products, local industries and minerals. For this reason, it became a destination for merchants from everywhere, whether they were Muslims or non-Muslims, such as the merchants of Andalusia, Egypt, the Levant, Iraq, the Island, Yemen and India, as well as the countries of the northern Mediterranean from the countries of Europe.

Keywords: business relations; Middle Morocco; ports; The economic activity .

أثر العلاقات التجارية في ازدهار النشاط الاقتصادي لموانئ المغرب الأوسط (ق ٥-٧هـ/١١-١٣م)

الباحث لطيف جاسم حمادي **أ.د. عثمان عبد العزيز صالح**
جامعة الأنبار- كلية الآداب **جامعة الانبار- كلية التربية للعلوم الانسانية**

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعد النشاط الاقتصادي عصب الحياة وأساس قيام الدول واستمرارها، فهو الموجه الرئيسي لها، ومن خلاله تقاس مكانتها ، ونظرا للدور المهم الذي لعبه هذا الجانب في نشأة وتطور موانئ المغرب الأوسط، جاءت هذه الدراسة الموسومة أثر العلاقات التجارية في ازدهار النشاط الاقتصادي لموانئ المغرب الأوسط خلال المدة (ق ٥-٧هـ/١١-١٣م)، والتي تتضمن مبحثين ، تناول المبحث الأول منها العلاقات التجارية مع بلدان العالم الاسلامي، إضافة الى الحديث عن أهم السلع والبضائع المتبادلة بين موانئ المغرب الأوسط والبلدان الاسلامية، أما المبحث الثاني تناول الحديث عن العلاقات التجارية مع البلدان الاوربية.

وتكمن أهمية الموضوع في ان التبادل التجاري ساهم إسهاماً كبيرا في نشأة النشاط الاقتصادي في موانئ المغرب الأوسط، والذي انعكس بدوره على عامة الناس ام على صعيد الدول القائمة جراء حصولها على الاموال من خلال فرض الرسوم والضرائب على السلع والبضائع، وجميع الاعمال التجارية الاخرى التي تجري على ارض الميناء، الامر الذي أدى ظهور التجمعات السكانية وقيام مدن تجارية مليئة بالسلع المستوردة، فضلا عما تزخر به من منتجات زراعية وصناعات محلية ومعادن. لهذا اصبحت مقصدا للتجار من كل مكان، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، كتجار الاندلس ومصر والشام والعراق والجزيرة واليمن والهند، فضلا عن دول شمال البحر المتوسط من بلدان اوربا.

الكلمات المفتاحية: العلاقات التجارية؛ المغرب الاوسط؛ الموانئ؛ النشاط الاقتصادي.

المبحث الأول:

العلاقات التجارية مع بلدان العالم الاسلامي :

أولا: العلاقات التجارية مع بلاد الأندلس :

ثانيا: العلاقات التجارية مع مصر وبلاد الشام:

ثالثا: العلاقات التجارية مع العراق:

رابعاً : العلاقات التجارية مع شبه الجزيرة العربية:

خامسا: العلاقات التجارية مع اليمن:

لعبت موانئ المغرب الاوسط دورا بارزا في استقطاب السفن التجارية القادمة " من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين ، وغيرها "(مجهول، ١٩٨٦: ١٣٠)، ولهذا قامت بدور الوسيط في جلب ونقل المتاجر بين مختلف البلدان (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٩)، لأن تجارها كانوا " يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق" إلى جانب استخدامها كمحطات لإستراحة السفن، والتزود بالمؤن ، ففيها كانت " تحل الشدود، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة " (الادريسي، ١٩٨٨: ١/ ٢٦٠)، وعبرها انتقلت إلى سائر الآفاق (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٩).

العلاقات التجارية مع بلدان العالم الاسلامي :

أولا: العلاقات التجارية مع بلاد الأندلس :

ساهمت الأواصر الاسلامية التي تربط بلاد المغرب بالاندلس، والموقع الجغرافي دوراً بارزا في قيام علاقات تجارية بينهما ، وذلك بسبب قرب المسافة المتمثلة بالمضيق الذي يفصل بين بلاد المغرب والاندلس، والذي يقدر باثني عشر ميلاً في بعض نواحيه إذ "يرى أهل الجانبين بعضهم بعضا، ويتبينون زروعهم وبيادرهم" (ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٢٦٢/١)، وكان للدور المهم الذي لعبه التجار المغاربة والاندلسيين، وسعيهم المستمر لتعميق الروابط التجارية بين الجانبين، أثر عظيم في رواج التجارة بين الجانبين (كونستنيل، ١٩٩٨: ١٠٦٣/٢) ، ولهذا أصبح تاريخ المغرب والأندلس يكاد يتمم بعضه بعضاً ، ولهذا السبب أطلق عليهما اسم العدوتين (الاصطخري، ٢٠٠٤: ٣٨؛ ابن حوقل، ١٩٣٨: ٧٦).

وكان لإنتشار الكثير من الموانئ المجهزة لرسو السفن التجارية، ان أصبح التجار ينقلون بضائعهم المتنوعة بحرية على امتداد طرق التجارة البحرية التي تربط بين البلاد الاندلس وبلاد المغرب الأوسط، لهذا لم تنقطع حركة السفن التجارية بين الجانبين(كونستنيل، ١٩٩٨: ١٠٦٣/٢).

كما ان الاحداث السياسية كان لها دور بارز في تأكيد الصلات القائمة بين الجانبين ، كما حدث أيام الدولة الأموية في الأندلس على عهد الخليفتين عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، والحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، وخلال الفترات التي يخضع فيها الاندلس للسلطة السياسية القائمة في بلاد المغرب كما حدث في عصر دولتي المرابطين(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م) والموحدين(٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٥-١٢٦٩م) ، حينما اصبح الاندلس اقليما تابعاً للسلطة المركزية القائمة في بلاد المغرب(محمود، ١٩٥٧: ٣٠).

وكان لإمتداد حدود دولتي المرابطين والموحدين في بلاد المغرب والاندلس، دور بارز في ازدهار التجارة الخارجية للبلاد، كما ان قوة الاسطول الاسلامي ساهمت بدور كبير في تأمين وحراسة الموانئ والطرق البحرية في البحر المتوسط ، ففتح منافذ كثيرة، وطرق مختلفة أمام الرحلات التجارية، وهذا الأمر سهل من عملية نقل التجارة بين بلاد المغرب والاندلس (ابن خلدون، ١٩٨٨: ١/٣١٥؛ طه، ٢٠٠١: ٢٣٧).

وساهم التجار الاندلسيين الذين كانوا يشكلون جاليات مهمة في موانئ المغرب الاوسط فضلا عن تأسيسهم موانئ خاصة لتعاملهم التجاري في وهران، وتنس، وجزائر بني مزغنة، وغيرها، إسهاماً فاعلاً في قيام أكبر قدر من المبادلات التجارية للبضائع من خلال نقل السلع والمنتجات الفائضة عن حاجة السوق المغربية إلى بلاد الاندلس وبالعكس (البكري، ب.د.ت: ٥٥، ٦١، ٧٠، ٨١، ٨٢؛ الادريسي، ١٩٨٨: ١/٢٥٢؛ ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٢/٤٨، ٥/٣٨٥).

لذلك توثقت العلاقات التجارية واتسع نشاطها بين الاقليمين ، وكانت السفن تسير في قوافل منتظمة تحمل البضائع المختلفة بين موانئ المغرب الاوسط والموانئ الاندلسية وهي محملة بالسلع والبضائع (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٧٦، ٧٨، ٧٩). وعن رواج حركة التجارة بين الجانبين يقول (جاك، ب.د.ت،: ١٥٣): ان هنالك الكثير من المراكب التجارية القادمة من برشلونة وقرطاجنة والمرية ومالقة وأشبيلية ، وجميعها كانت مهمتها تأمين التبادل التجاري مع بلاد افريقية وآسيا.

١. **صادرات بلاد المغرب إلى الأندلس :**

قامت موانئ المغرب الاوسط بتصدير انواع كثيرة من السلع والبضائع والمنتجات الى الأندلس، فكانت الصادرات المتبادلة بين الجانبين مجموعة من السلع الزراعية والحيوانية ، فضلا عن انواع من السلع المصنعة والثروات الطبيعية .

ولعل أبرز ما صدرته موانئ المغرب الاوسط إلى الاندلس ، المواد الغذائية من المنتجات الزراعية التي تمثل ضروريات الحياة، إذ تحمل المراكب القمح من موانئ تنس ووهران وطبرقة إلى الاندلس، وذلك لكثرة الزرع عندهم (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٧٤، ٧٥، ٧٧؛ مجهول، ١٩٨٦: ١٣٣) ، فالمرية " كانت ترتفق بما يجلب إليها من الحنطة من بر العدوة" (ابن فضل العمري، ٢٠٠٢: ٤/٢٣٣). والسكر والكروم والتمور (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٩١؛ المقدسي، ١٩٠٦: ٢٣١)، والتي يزداد الطلب عليها في الأوقات الصعبة، حين تنعدم أو تقل فيها الاقوات، أو عند اندلاع الحروب، واوقات الفتن والكوارث الطبيعية، كالجراد والجفاف، وغير ذلك ، وأحيانا بصورة مؤقتة لإعتماد زراعتها في الغالب على الامطاروقامت بلاد المغرب الأوسط بتصدير ما فاض من ثروتها الحيوانية ، مثل الماشية ،

خاصة " الاغنام ... لرخصها وطيب لحومها " (مجهول، ١٩٨٦: ١٧٩)، الأبقار والماعز(ابن حوقل، ١٩٣٨: ٩١؛ الادريسي، ١٩٨٨: ١٧٩) ، والتمور والزيت والفستق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والانطاع والقرب، فضلا عن تصدير الحناء والثياب الصوفية وانواع من الأكسية (المقدسي، ١٩٠٦: ٢٣٩؛ الادريسي، ١٩٨٨: ٣٨) ، والصمغ الذي يجلب من بلاد السودان ، ليعاد تصديره الى الاندلس ، إذ يستخرج من أشجار المقل ، ليصمغ بها نوع من الملابس تسمى الديباج (البكري، ١٩٩٢: ٢٦/١، ١٥٧، ١٥٨، ٨٤٨/٢).

وصدرت أيضا الذهب الذي كان يأتي إليها من غانة [١] وبلاد السودان (ابن الوردي، ١٩٩٦: ٨٢/١؛ المراكشي، ٢٠٠٦: ٤٤٩) ، ومعدن النحاس الذي يُحمل الى بلاد كثيرة ومنها الاندلس، والذي يتصف بقابليته على تحمل الطرق(الزهري، ب.د.ت: ١١٧-١١٨)، ونشطت تجارة العبيد السود الذين يجلبون إلى بلاد المغرب الاوسط، إذ كانت أسواق تجمعهم في زويلة[٢] ، ثم ينقلون عن طريق موانئها إلى بلاد الاندلس(الاصطخري، ٢٠٠٤: ٤٤ ؛ بدر، ١٩٨٣: ١٥١). وكان لعمليات الجهاد في الاندلس ضد النصارى، أن اصبحت للخيل أهمية كبيرة، وذلك لإعتماد الجيش الاندلسي عليها، إذ تم استيراد الاصناف الجيدة منها عن طريق بلاد المغرب الأوسط(ابن عذاري، ١٩٨٣: ٢٣٥، ٢٣٨ ؛ ابن الخطيب الغرناطي، ١٩٥٦: ١٠٠) .

٢ . واردات بلاد المغرب الأوسط من الاندلس:

عمل التجار الاندلسيون بتصدير كل ما فاض عن حاجة بلادهم الى بلاد المغرب الأوسط، ولعل ابرز ما تم تصديره ، هو الرقيق الابيض "من الجواري والغلمان من سبي افرنجة وجليقية ، والخدم [المجلوب من بلاد] الصقالبة [٣] "، والذي يحتل الدرجة الاولى في قائمة صادرات بلاد الاندلس الى موانئ المغرب الاوسط ، وعن طريقها يتفرقون إلى جميع البلدان الاسلامية، يقول (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٩٥، ١٠٥-١٠٦): " وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان، فمن جلب الاندلس، لأنهم عند قربهم منها يخصون، ويفعل

---

[١] غانة: هي مدينتان سهليتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا . وتعد من اكبر بلاد السودان وهي من اوسع بلاد السودان متجرا، وهم في سعة من المال، يقصدها التجار من سائر البلاد . (البكري، ب.د.ت: ١٧٤-١٧٥؛ طرخان، ١٩٧٠: ٦٤).

[٢] زويلة: مدينة كبيرة تقع في الصحراء على الحد الجنوبي الشرقي من بلاد المغرب ، وهي قريبة من أرض السودان (بلاد كانم)، وفيها تجتمع القوافل التجارية ، وفيها الأسواق الجميلة والمباني الحسنة والشوارع الواسعة والأزقة الفسيحة وفيها الكثير من الفنادق والحمامات ، وأهلها تجار مياسير نبلاء ذوو أذهان ثاقبة . (الاصطخري، ٢٠٠٤: ٤٠ ؛ مجهول، ١٩٨٦: ١٤٦ ؛ الادريسي، ١٩٨٨: ٢٨٨٨/١ ؛ ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ١٦٠/٣) .

[٣] الصقالبة: هي التسمية المعروفة التي يقصد بها بلدان اوربا بلغة ذلك العصر، وهي بلاد الغابات الواسعة التي تمتد في اوربا الوسطى، ومنها اشتقت كلمة (Slave) ، ومعناها العبيد . (لومبار، ١٩٩٠: ٢٩١ ؛ بروفنسال، ب.د.ت: ٤٥).

ذلك بهم تجار اليهود والصقالبة " . وكان هؤلاء الرقيق يجلبون من بلدان اوربا –عن طريق بعض القبائل الجرمانية الذين يمارسون اعمال السبي واسترقاق الشعوب السلافية المقيمة ما بين بحر قزوين شرقا إلى البحر الأدرياتي غربا – ، ليتم بيعهم في الموانئ الاندلسية ، ثم يعاد تصديرهم إلى موانئ المغرب الأوسط، ودول شرق البحر الابيض المتوسط (بروفنسال: ٤٥). ومن صادرات الاندلس من الصناعات التي اشتهرت بها، هي المصنوعات النسيجية كالملابس والثياب المنسوجة من الكتان، والتي تصدر عن طريق موانئ بلاد المغرب الاوسط إلى الكثير من البلدان مثل مصر ومكة واليمن، يقول (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٥، ١٠٩): " وبالأندلس غير طراز يرد إلى مصر متاعه، وربما يحمل منه شيء إلى اقاصي خراسان، وغيرها"، فضلا عن ما نالته مدينة مرسيه من شهرة في صناعة البسط التنتلية، والتي تم تصديرها إلى بلاد المشرق(المقري ، ١٩٩٧: ٣/٢١٤) .

أما صناعة الوشي والديباج فهي من الصناعات التي انفردت بها الاندلس، اما صناعة الاقمشة الحريرية فلا يوجد لها نظير بأي بلد من بلاد المشرق أو بلاد النصارى (ابن سعيد المغربي، ١٩٥٥: ٢/١٩٣) ، ومن الاندلس تم تصدير القطن الاندلسي، الذي يمتاز بجودته والذي تشتهر زراعته في وادي أش واشبيلية ، وكذلك العصفر ، إذ يتم تصدير الفائض منه الى المغرب الاوسط(ابن الدلائي، ب.د.ت: ٩٦ ؛ مجهول ، ١٩٨٣: ١/٦٢). ومن الجبال المحيطة بمدينة طرطوشة يجلب خشب الصنوبر الذي" لا يوجد له نظير في الطول والغلظ ومنه تتخذ الصواري والقرى... [وهو] أحمر صافي البشرة، دسم لا يتغير سريعا ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره وهو خشب معروف"(الادريسي، ١٩٨٨: ٢/٥٥٥).

ويجلب من مدينة المرية الاندلسية الى بلاد المغرب، انواعاً من الحصى الملون، كانوا يضعونها في جرار الماء للتبريد(ابن حزم الاندلسي، وابن سعيد المغربي، والشقندي، ١٩٦٨: ٥٨)، وصفه (المقري، ١٩٩٧: ٢٠١) بقوله: " وحصى المرية يحمل إلى البلاد ، فأنه كالدر في رونقه ، وله ألوان عجيبة " ، فمن عادات أهل المغرب انهم يضعونه في أواني شرب الماء .

ثانيا: العلاقات التجارية مع مصر وبلاد الشام:

١ . العلاقات التجارية مع مصر:

كان للموقع الجغرافي الذي حضيت به بلاد مصر، واتصالها بطرق المواصلات البحرية الرابطة بين موانئ المغرب الاوسط ، ان ترك أثراً بارزا في قيام حركة تجارية نشطة بين الجانبين، بفضل وجود عدد من الموانئ المهمة مثل مينائي الاسكندرية وتنيس ، فإلى ميناء الاسكندرية كانت تصل السفن والمراكب التجارية القادمة من موانئ المغرب الاوسط، من

خلال مرورها عبر الطريق البحري الساحلي المحاذي للضفة الجنوبية من البحر المتوسط (الحميري، ١٩٨٠: ٥٣٨ ؛ جواتياين، ١٩٨٠: ٢١٧).

فمن بلاد المغرب جلبت الى مصر والمشرق الاسلامي، أنواع من المعادن، أبرزها الذهب الذي يجئ به من بلاد السودان الى سجلماسة ، فيحمل كثيرا منه الى مصر والمشرق الاسلامي(ابن الوردي، ب.د.ت: ١٠٧)، وكذلك حمل التجار من بلاد المغرب إلى مصر العنبر المغربي[٤] ، الذي كان يحرقونه بالمجامر أو يخلطونه بشمع الانارة فتفوح منه راحة زكية(خسرو ، ١٩٨٣: ٧٦، ٩٧) .

ويذكر صاحب كتاب حدود العالم(مجهول، ٢٠٠٢: ٢٠٥) ان التجار المصريين كانوا قد اعتادوا على المتاجرة مع بلاد السودان، إذ يحملون اليهم من السلع ،الملح والزجاج والرصاص، والذي يتم بيعه بما يقابله من الذهب ، فضلا عن ذلك كانوا يشترون العبيد (الزنوج) لتم بيعهم –بعد خصيهم – في اسواق مصر ، ويذكر (خسرو، ١٩٨٣: ١٠٣): أنه رأى في مصر سوقاً يسمى بسوق القناديل ، شاهد فيه " معلمين مهرة ، ينحتون بلورا غاية في الجمال، وهم [كانوا] يحضرونه من المغرب " .

كما ازدهر النشاط التجاري مع مصر، لوجود نهر النيل الذي يعد من أهم طرق المواصلات الداخلية، ووفرة الانتاج الزراعي فيها، فضلا عن توفر انواع عديدة من المعادن الثمينة في مصر مثل الزمرد، وحجر السنباذج الذي يقطع به سائر الاحجار الكريمة (الجاحظ، ١٩٩٤: ٢٥؛ ابن مماتي، ١٩٩١: ٨١)، فضلا عما اشتهرت به كل من تنيس ودمياط بانتاج انواع من الالبسة والمنسوجات، خاصة الاقمشة المذهبة المنقوشة التي كانت تصل إلى المغرب الاوسط(ابن حوقل ، ١٩٣٨: ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩ ؛ موسى ، ١٩٨٣: ٣٢٨)، وكذلك شهرتها في انتاج وتصدير الصابون يتجهز بالفائض منه" إلى كل الجهات وصابونها معروف النظافة"(الادريسي، ١٩٨٨: ١٢٨/١).

٢ . العلاقات التجارية مع بلاد الشام:

كان لموقع بلاد الشام الجغرافي، واتصالها بطرق المواصلات البرية المؤدية إلى العراق وشبه الجزيرة العربية ، ان ترك أثراً مهما في نشاط الحركة التجارية مع موانئ المغرب الاوسط، ان شهرة بلاد الشام وكثرة خيراتها وغناها، ساهم بتصدير الفائض من منتجاتها إلى البلدان المختلفة من خلال موانئها الصالحة لرسو السفن ، مثل ميناء صور ، وميناء عكا،

[٤]العنبر: يعد من أحدى العطايا التي يجود بها البحر . واجود انواعه ما يمتاز به من الصفات التي اشار إليها الدمشقي بقوله : " وخير اوصافه الخنة والبياض والدهنية، او ان يميل لونه الى الخضرة والصفرة ميلا يسيرا ، والسيء منها ما يضرب الى السواد، والمرمل والناشف، وما ثقل وزنه، ويجب ان يكون الاحتفاظ عليه من النار اكثر من غيرها " (الدمشقي، ب.د.ت: ١٩؛ الخوارزمي، ب.د.ت: ٨٥).

وصيدا، وغيرها (البغدادي، ١٩٩١: ٢/ ٨٥٦، ٨٥٩)، مما شجع على زيادة اعمال التبادل التجاري مع موانئ المغرب الاوسط. فمن موانئ المغرب الاوسط انتقلت السلع المهمة كالمنسوجات الى سائر الآفاق، ومنها بلاد الشام (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٩)، والى ميناء مدينة المرية التي لم يكن بالأندلس أكثر منها مالأ " كانت تقصدها مراكب التجار من الاسكندرية والشام"(الحميري، ١٩٨٠: ٥٣٨) ، بعد مرورها بموانئ المغرب الأوسط ، وعن طريقها كانت تصل من بلاد الشام، " الذخائر واليواقيت والجواهر" النفيسة، التي كان يتهادى بها أمراء المغرب والأندلس(مجهول ، ١٩٧٩: ٧٧، ١٠٤).

وألى جانب ذلك قامت بلاد الشام بتصدير كميات كبيرة من الاخشاب الكبيرة اللازمة لصناعة السفن ، مثل خشب الصنوبر والابنوس وعن طريقها يؤتى أفضل انواع التوابل، وأطيبها طعماً ورائحة ، فضلا عن انواع أخرى من المتاجر، كالزجاج والجواهر الثمينة، التي كان يزداد الطلب على شرائها في اسواق المغرب الاندلس (الاصطخري، ٢٠٠٤: ٦٣، ١٥٤ ؛ ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٦٧؛ طويل ، ١٩٩٤: ٩٩) .

ثالثا: العلاقات التجارية مع العراق:

شهدت موانئ المغرب الأوسط علاقات تجارية مهمة مع العراق، تبادلت خلالها نقل السلع والمنتجات الفائضة عن حاجة اسوق بلاد المغرب، واعادة تصديرها إلى العراق، فضلا عن تصدير السلع ومواد الترف إلى بلاد المغرب ، فتوثقت العلاقات التجارية بين الجانبين. قامت بلاد المغرب بتصدير الرقيق والجواري والغلمان والخدم الصقالبة الى العراق للعمل في القصور ودور الميسورين ، فضلا عن العبيد السود الذين يؤتى بهم من بلاد السودان ، وانواع من الأكسية ، وبعض المعادن (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٩٧، ١٠٦؛ المقري، ١٩٩٧: ١/ ١٤٠ ؛ ارسلان، ب.د.ت: ١/ ٤٦- ٤٧).

واشتهرت بلاد المغرب بصناعة انواع مختلفة من اللبود المغربية، التي كانت تنقل إلى جميع البلدان، ولعل أفضلها اللبود الحمراء التي جلبت الى العراق (الجاحظ، ١٩٩٤: ٢٧)، والتي كانت تدبغ بالقرظ[٥] " فتأتى من طيب الرائحة ونعمة اللمس "(ابن حوقل، ١٩٣٨: ٧٠)، كما جلبت من بلاد المغرب انواع من الحيوانات المفترسة كالنمور، وانواع من الطيور الجارحة كالبزاة السود(الجاحظ ، ١٩٩٤: ٢٧).

وتعد مدن الجنوبية من بلاد المغرب الأوسط كسجلماسة واغمات، عبارة عن مراكز تجارية، للتجار القادمين من العراق وبلاد المشرق الاسلامي، إذ كانت مقصداً لتجار بغداد والكوفة والبصرة ، اقاموا بها من أجل الاشراف على تجارة قوافلهم المتجهة إلى بلاد

[٥] القرظ: هو ورق شجر السلم الذي كانت تدبغ به الجلود ، وهو أجود ما تدبغ به الأهب في ارض العرب ، وهي تدبغ بورقه وثمره . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٣/ ٢٠ ؛ ابن منظور، ١٩٩٣: ٧/ ٤٥٤) .

السودان وغانة لتحمل الذهب والسلع الأخرى من بلاد السودان إلى المشرق، وعن ذلك، يقول (ابن حوقل، ١٩٣٨: ٦٥): " وسكنها أهل العراق، وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم واولادهم وتجاراتهم دائرة، ومفردتهم دائمة، وقوافلهم غير منقطعة إلى ارباح عظيمة، وفوائد جسيمة، ونعم سابغة، قلما يدانيها التجار في بلاد الاسلام سعة حال".

وتوجد إشارات حول وصول التجار من العراق حاملين معهم المنسوجات العتابية البغدادية والموصلية، والجرجانية[٦]، إذ اشار (المقري، ١٩٩٧: ١/ ٣٥٧-٣٥٨): إلى وصول اصناف عديدة منها إلى بلاد الاندلس، كالتي كان يتهاداها الأمراء والخلفاء، مثل فرو جلود الفنك الخرسانية، والمطارف والسرداقات البغدادية، و" الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب"، إذ امتازت برواجها الكبير في الأسواق، خاصة في أسواق الأندلس ، كما استوردت بلاد المغرب من العراق مادة الزجاج ، الذي عرف في بلاد المغرب والاندلس باسم " الزجاج العراقي"(الادريسي، ١٩٨٨: ٢/ ٦٥٨، ٦٦٢ ؛ ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٢٩٣/٤)، لهذا احتفظت تلك الواردات بأسمائها العربية، أو الفارسية (ريسلر، ١٤٤؛ بروفنسال، ٩٢).

وكما استوردت بلاد المغرب من المشرق انواع مختلفة من السلع والبضائع ، فاليها " يجلب من جميع الاقاليم، كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الاثمان من اليمن والعراق والشام"(الزهري، ١١٤). لهذا تركت تلك العلاقات أثرا كبيرا في نمو النشاط الاقتصادي، ويؤيد هذا القول ان السلع القادمة من بلاد المغرب الإسلامي كانت لها مكانة كبيرة في اسواق العراق ، والعكس صحيح(بروفنسال، ٤٥، ٦٠)، وهذا الأمر اعطى قوة اقتصادية كبيرة لكلا الجانبين .

رابعاً: العلاقات التجارية مع شبه الجزيرة العربية:

تعد الجزيرة العربية من أكبر المراكز التجارية منذ قبل ظهور الاسلام وبعده ، وذلك بفضل موقعها الجغرافي الذي يتحكم في طرق التجارة الرئيسية التي تربط بين كل من قارة آسيا وأفريقيا واوربا، لهذا لعبت دورا بارزا في قيام صلات تجارية مع البلدان المختلفة(علي، ٢٠٠١: ١/ ١٦٨-١٦٩ ؛ كحالة، ١٩٦٤: ٨).

تركز النشاط الاقتصادي للجزيرة العربية فيها على التجارة ، إذ سلكت السفن التجارية القادمة من موانئ المغرب الأوسط إلى مصر وبلاد الشام عبر الطريق البحري المحاذي للضفة الجنوبية للبحر المتوسط ، وعند وصولها الى موانئ مصر، تجلب ما تحمله من السلع والبضائع إلى مناطق شبه الجزيرة العربية عبر الطرق البرية، فبعد توقف السفن في

[٦]الجرجانية : نسبة الى بلدة جرج في نواحي فارس . (ياقوت الحموي ، ١٩٧٧: ٢/ ٤٢).

ميناء الاسكندرية تقوم بنقل البضائع القادمة بواسطة القوافل البرية ، حتى تصل مدينة القلزم، ومنها تسير ألى بلاد الحجاز ، واثناء العودة يسلك التجار الطريق نفسه (ابن جبير، ب.د.ت: ٥٦ –٥٧) .

وتعد الرحلة إلى البلاد المقدسة، حينما تشد الرحال إلى بيت الله الحرام، لإداء فريضة الحج في كل عام، عن طريق البر أو البحر، من الأسباب المهمة التي أدت إلى انتعاش النشاط الاقتصادي في الموانئ ، لكون ان أكثر الحجيج كانوا يفضلون الطريق البحري على الطريق البري، لكون ان السفر عبر الطريق البحري أيسر أمراً، وأكثر أمناً (ابن جبير، ٨ ؛ جواتياين، ١٩٨٠: ٢١٩).

والدين الاسلامي أباح العمل في التجارة عند آداء فريضة الحج، فقوافل الحج كانت في كثير من الاحيان تضم انواع من المتاجر التي تحتاجها المدن الشرقية ، إذ زاول بعض الحجاج اعمال التجارة، كتبادل انواع مختلفة من السلع والصناعات التي تلقي رواجا بين الناس، الامر الذي اسهم في ظهور بوادر انشطة اقتصادية بارزة، جراء القيام بتلك الاعمال التجارية، لهذا سلك التجار بقوافلهم التجارية عبر طريق الحج نفسه ، لتحمل البضائع القادمة من بلدان المغرب الاسلامي إلى شبه الجزيرة العربية .

ولعل أبرز ما تحمله السفن التجارية من السلع والبضائع، انواع عديدة من المنسوجات القطنية والحريرية التي اشتهرت صناعتها في مدن بلاد الاندلس كقرطبة وبجانة، يقول (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٩): " فأما اريتهم المعمولة ببجانة، فتحمل إلى مصر ومكة واليمن ، وغيرها" ، وفي طريق عودتها ، كانت تحمل من السلع التي تزيد عن حاجة سكان شبه جزيرة العرب ، والتي تلقي رواجا تجاريا في بلدان المغرب الاسلامي .

وفي الوقت الذي صدرت فيه موانئ المغرب الاوسط بضائعها وسلعها الى مناطق شبه الجزيرة العربية، نجد ان الاخيرة قامت بدور مماثل من خلال تصدير ما زاد عن حاجتها الى بلاد المغرب الاسلامي ، إذ لم يتردد بعض النابهين من التجار في تحمل الخطر ومشاق السفر الطويل، من أجل المتاجرة في نوادر الأشياء وأثمنها(بروفنسال، ٥٣) ، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان اللؤلؤ من أبرز السلع الثمينة التي لاقت رواجا منقطع النظير، خاصة لدى الامراء والخلفاء والميسورين(الغنيم، ١٩٧٣: ٣٦).

ويمكن القول ان شبه الجزيرة العربية ارتبطت بعلاقات اقتصادية مع موانئ المغرب الاوسط بسب حاجة الجانبين إلى تبادل السلع والبضائع ، مما ادى الى رواج النشاط الاقتصادي بينهما .

خامسا: العلاقات التجارية مع اليمن:

ساهم الموقع الجغرافي لبلاد اليمن في قيام علاقات تجارية مع جميع بلدان العالم الاسلامي، فموقعها الاستراتيجي المطل على بحرين كبيرين، هما بحر القلزم، وبحر العرب، ساهم في جعلها أرضها ممراً بريا، تمر من خلالها أهم طرق التجارة العالمية (الاصطخري، ٢٠٠٤: ٢٨).

فعن طريق موانئ المغرب الاوسط حملت الى اليمن الملابس المعمولة من الكتان، وحمل التجار الاصباغ التي تستخرج من حشائش معينة ، والملابس المطرزة والأصواف والمفروشات يقول (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٩): " فأما اردیتهم المعمولة ببجانة ، فتحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها .."، وبالجانب المقابل، اشتهرت اليمن بكثير من الصناعات، ولعل أفضلها الجلود، التي كان ينقلها التجار إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب الأوسط (الادريسي، ١٩٨٨: ٢/ ١٥١).

وهناك من الاشارات التي تدل على وجود صلات بين عدن[٧] وبلاد الأندلس، إذ يذكر (أبن عذاري، ١٩٨٣: ٢٩١/٢): ان تاجراً مشرقيا قدم من مدينة عدن إلى بلاد الاندلس يحمل معه الكثير من الجواهر والأحجار الكريمة ليبيعها في قرطبة . ومن السلع التي كانت تصل الى بلاد المغرب، انواع عديدة من العطور الهندية(ابن خرداذبة ، ١٩٦٧، ٦٢ ؛ الدمشقي، ١٠ ؛ الادريسي، ١٩٨٨: ١/ ٥١٩ ؛ المراكشي، ٢٠٠٦: ٢٥٧). إذ أشار (ابن سعيد المغربي، ١٩٥٥: ٣٧): إلى التجار الأغنياء الذين " يبتاعون المركب بما فيها من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة" .

وهذا يعني إن الصلات التجارية بين موانئ المغرب الأوسط وبلاد المشرق لم تتوقف، بل استمرت السفن التجارية بالنتقل عبر مياه البحر المتوسط ، لهذا اتسعت اعمال التبادل التجاري مع بلاد اليمن ، وتعززت الصلات التجارية بينهما .

ولهذا نستطيع القول: ان السلع والمنتجات ذات النوع الجيد ، والغالية الثمن، كانت تصل- عن طريق الموانئ- الى بلاد المغرب الأوسط من جميع الأقاليم ، كبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية واليمن، فإليها يحمل " كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس"(الزهري، ١١٤). ويؤيد هذا القول، إشارة (ابن خرداذبة، ١٩٦٧: ١٥٣): التي أكد فيها على ان التجار العائدين من المشرق، كانوا يحملون معهم من السند والصين، سلع عديدة أبرزها، المسك، والعود، والكافور، والدارصين، ليتاجروا بها في البلاد التي يمرون فيها.

---

[٧] عدن: مدينة تجارية مشهورة تعد من أقدم أسواق العرب، تقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليها ، وتبعد عن مدينة صنعاء بثمانية وستون فرسخ . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٢٩١/٢).

المبحث الثاني:

العلاقات التجارية مع البلدان الاوربية:

أولا: العلاقات التجارية مع جمهوريات المدن الايطالية:

ثانيا: العلاقات التجارية مع جزيرة صقلية:

العلاقات التجارية مع البلدان الاوربية:

لم يقتصر النشاط الاقتصادي في موانئ المغرب الأوسط على العلاقات التجارية مع بلدان المشرق الإسلامي ومغربه فحسب ، بل شمل العديد من البلدان الاوربية أيضاً، فعلى الرغم من ان العلاقات السياسية بين المسلمين والبلدان الاوربية على عهد دولتي المرابطين والموحدين كان يشوبها في كثير من الأوقات العداء والتوتر، إلا إنهم انهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية معهم (ابن عذاري، ١٩٨٣: ٤/ ٦٦-٦٧، ٩١-٩٢؛ سالم، ١٩٦٩: ٢٤٦) ومن ثم لم يأخذوا عشوراً من تجار المسلمين الغرباء(ابن جبير، ٥٦) .

أولا: العلاقات التجارية مع جمهوريات المدن الايطالية:

كانت ايطاليا في مقدمة الدول التي تعاملت مع بلاد المغرب الاسلامي، إذ بدأ اهتمامها ببلاد المغرب مع قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر، ذلك لإن التجارة الخارجية لدولة المرابطين مع بلدان البحر المتوسط ، كانت قد واجهت صعوبات كثيرة – خاصة مع الممالك الاسبانية- لان العلاقات معهم كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع النصارى ، الأمر الذي جعل التجارة معهم لا تزدهر إلا في سنوات الهدنة (ابن عذاري، ١٩٨٣: ٤/ ٩١، ٩٢).

وعلى الرغم من سعي المرابطين الدائم للسيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط من خلال تحالفهم مع بني حماد لغزو سواحل صقلية وايطاليا، إلا ان الظروف التي رافقت قيام الدولة الموحدية شغلتهم عن جهودهم البحرية تلك، ولهذا لم يبق للمرابطين، سوى التعامل التجاري مع كل من جزيرة صقلية وجمهوريات المدن الايطالية التي بدأت بالسعي لبسط سيطرتها على الحوض الغربي من البحر المتوسط في آواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(ابن الأثير، ١٩٩٧: ١٠/٦١١ ؛ ابن عذاري، ١٩٨٣: ٤٤/٦٦-٦٧). لهذا عقد المرابطون عدة اتفاقيات تجارية مع تجار الجمهوريات الايطالية ، خاصة مع بيزا وجنوة في عامي (٥٣١هـ/ ١١٣٧م) و (٥٣٢هـ/١١٣٨م)، وتشجيعا منهم للتجارة في بلاد المغرب لم يأخذ المرابطون غير العشر (١٠ %) على البضائع والسلع الايطالية (Mas, 1965, 37 ,47)

كما اقتضت الظروف السياسية التي احاطت بدولة الموحدين[٨] – التي أولت اهتمامها بالتجارة والعمل على تنشيطها، من خلال تشجيع التجار على المجيء إلى البلاد(التجاني، ١٩٨١: ٣٤٣-٣٤٨ ؛ السلاوي، ١٩٥٤: ١٩٨/٢ ؛ حسن، ١٩٨٠: ٢٦٦ ، ٢٧٥) – ان يسالموا النورمان في صقلية والجمهوريات الايطالية كجنوة وبيزة (Mas, 1965, 35 ,48) .

ففي سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) عقد الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) معاهدة تجارية مع جمهورية جنوة ، وفي سنة (٥٥٦هـ/١١٦١م)، عقد مبعوث جنوة مع الخليفة عبد المؤمن بن علي، اتفاقية سلام وتجارة بين الطرفين، تضمن حرية التجارة لرعايا جنوة براً وبحراً، وتم تجديدها سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، و (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ، سمحت بموجبها لسفن جنوة بالتجارة في جميع موانئ بلاد المغرب ، مع تحديد قيمة الرسوم المفروضة على البضائع الواردة من جنوة، التي أصبحت (١٠ %) بالنسبة للواردات الى ميناء بجاية، و(٨%) بالنسبة للواردات من البضائع والسلع الجنوية الداخلة إلى غيرها من الموانئ(Mas, 1965, 47-49 ,89, 108) .

وفي سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م) اتسع اطار تلك الاتفاقيات ليشمل المدن الايطالية الاخرى، مثل بيزا والبندقية اللتان أعطيتا حق التجارة مع موانيء المغرب والأندلس، إذ أصبح من خلالها لتجار جنوة الصدارة الملاحية في البحر المتوسط ، فقامت من خلالها بربط الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، بالحوض الغربي منه، وبالعكس(ابن جبير، : ٨، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٤٩؛ الطيبي، ب.د.ت: ١٣٨).

ولهذا كانت معاهداتهم في أكثر الأحيان مشجعة لإهل الصلح من النصارى، فلم يأخذوا منهم غير العشر على البضائع الواردة ، أما الجواهر واللآلي والزمرد والياقوت والنقود والفضة فقد أخذوا عنها (٥%) فقط، واسقط الموحدون العشر عما تبايعه التجار في مراكبهم وعن السفن التي يبيعها تجار المدن الايطالية لأشخاص مسلمين أو نصارى معاهدين(موسى، ١٩٨٣: ٢٧٧) .

كما عقدت معاهدات تجارية مع الموانئ الايطالية، فقد وقع آل ماندوبل[٩] بمرسيليا خلال المدة المحصورة بين (٦٠٩ -٦٤٤ هـ/١٢١٢- ١٢٤٦م) عشرين عقدا، باعوا بمقتضاها لكل من بجابة ووهران وتلمسان وسبتة قطعاً من النقود العربية ضربت في

---

[٨] كان الاسطول الموحدي قوة ضاربة قادرة على حماية سواحل المغرب ، إلا انه لم يكن قادرا على بسط سلطانه على جميع مياه البحر الابيض المتوسط ، وربما يعود ذلك الى انشغال الموحدين في حروبهم في بلاد الاندلس، وانشغالهم في التصدي لبني غانية في الجزائر الشرقية ، وفي افريقية . ولهذا كان على الموحدين التعامل مع القوى البحرية التجارية الأخرى . (ابن الأثير، ١٩٩٧: ١٢/١٠-١٣ ؛ ابن خلدون، ١٩٨٨: ٣١٥/١ ؛ موسى، ١٩٨٣: ٢٧٥) .

[٩] لم اتمكن من العثور على معلومات وافية عنها في المصادر والمراجع التاريخية .

مونبيليه (حسن، ١٩٨٠: ٢٨٨). وقد مكنت هذه المعاهدات جمهورية جنوة من تأسيس عدة شركات خاصة للتجارة بالمغرب الاسلامي، إذ كان يقيم ببجاية قناصل للدول التجارية من أجل حفظ حقوق رعايا دولتهم، وكاتب خاص لضبط حساب تجار دولته وتقديمه للديوان الموحدي ، فضلا عن التسهيلات التجارية التي اعطيت للتجار بحرية المرور، وإقامة الفنادق لراحتهم، مما شجع على التعامل التجاري، وهذا الازدهار التجاري دفع السلطة الرسمية لجمهورية جنوة بانشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية، سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، وذلك ليتمكن تجار جنوة من التخاطب والتعامل مع تجار المغرب(الميلي، تاريخ الجزائر، ٢/ ٣٣٣ ؛ حسن، ١٩٨٠، ٢٨٧).

ويعد ميناء بجاية من أهم الموانئ التي تعامل معها الجنويون في اعمالهم التجارية خلال المدة (٥٥٠-٥٦١هـ / ١١٥٥-١١٦٥م) ، كما شهد ميناء وهران في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشرالميلادي مكانة مهمة في التعاملات التجارية مع جنوة (Mas, 1965, 383) 380. وهذا النشاط التجاري الذي مارسه الجنويين – في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين– بين الغرب والشرق وخاصة مع بلاد المغرب والأندلس؛ اشار له (الزهري، ٢٢٩، ١١٧-١١٨) بقوله : " وهؤلاء القوم [الجنويين] تجار في البر والبحر يبلغون الى أقصى الشام والإسكندرية وديار مصر وأطراف المغرب والأندلس ... ومن عندهم يجلب لكل البلاد النحاس والزعفران والقطن " .

ومن بلدان اوربا كان يجلب الرقيق[١٠]، إذ يؤكد (ابن خرداذبة ، ١٩٦٧: ٩٢ ، ١٥٣) على وجود أسواق وطرق يؤمها الكثير من التجار الذين " يسافرون من المشرق الى المغرب، ومن المغرب الى المشرق ، برا وبحرا، يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان"، وكان التجار ينقلونهم إلى الاندلس وبلاد المغرب ، فمن المعروف ان عدد الصقالبة قد كثر في قصور حكام المغرب(ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٠٦ ؛ ١١٠).

واورد قائمة بالمنتجات والبضائع التي تحمل من اوربا عبر الاندلس إلى موانئ بلاد المغرب، ثم تنقل إلى المشرق ، يقول: " والذي يجيء من البحر الغربي، الخدم الصقالب والروم، والافرنجيون، واللمبرديون، والجواري الروميات والأندلسيات، وجلود الخز، والوبر، ومن الطيب الميعة، ومن الصيدنة المصطكى "، فضلا عن الديباج ، والفراء، والسمور، والسيوف .

ومن أبرز السلع التي تم تصديرها إلى المدن الايطالية، وخاصة بيزة وجنوة خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، السلع المجلوبة من بلاد

[١٠] ينتمي هؤلاء إلى مناطق أعالي الدانوب والراين، ومن مناطق عديدة أخرى، إذ كانت مدينة براغ مركزا للخصي ، يقول (الجاحظ، ١٩٩٤: ٢٦) يجلب من الروم الخصيان . (لومبار، ١٩٩٠ ، ٣١٣) .

السودان، كالذهب والعاج والصمغ والرقيق ، والعنبر والمسك والخيول(الزهري، ١١٧ ؛ بانكيار، ١٩٩٨: ٣٩٧ ؛ موسى، ١٩٨٣، ٨٦) ، والزيت والسكر (البكري، ١٩٩٢: ٢/ ٦٦٩ ؛ الزهري، ١١٧؛ جواتيايين، ١٩٨٠: ٢١٤)، والصوف والغنم والشمع(برنشفيك، ١٩٨٨: ٢/ ٢٧٣ ؛ موسى، ١٩٩١: ٨٦)، والتوابل والاحجار الكريمة واللآلئ التي كانت تصل من الشرق، فضلا عن القمح الذي يحمل من ميناء وهران، وسبتة(برنشفيك، ١٩٨٨: ٢، ٢٧٢ ؛ ليون الافريقي، ٢٦٢/١ ؛ الطيبي: ١٣٩).

وكان التجار الجنويون يستوردون الكثير من الجلود والقِرَب والمصنوعات الجلدية، ومواد الدباغة النباتية، والشبّ – الذي كان يستورد بكميات كبيرة ، لإستعماله في الدباغة والصباغة، وريش النعام، والملح والتمور، والزبيب وسائر انواع الفواكه الجافة، فضلا عن الحرير، والورق (الكاغد) (ليون الافريقي، ٢٦٢/٢ ، ٢٨٠ ؛ الجيلالي، ٣٢٠/٢ ؛ الميلي، ٢/ ٣٣٣)، فضلا عن المرجان الذي أخذ التجار الايطاليين يحتكرون صيده والتجارة فيه طيلة عهد الموحدين (برنشفيك، ١٩٨٨: ٢/ ٢٧٥ ، ٢٣٩).

وفي المقابل، اتخذ تجار المدن الإيطالية من بلدان المغرب، منفذا او سوقا لبيع انواع مختلفة من السلع لعل ابرزها العطور والبخور، إذ كانت تصل الى بلاد المغرب عبر البحر المتوسط عن طريق الموانئ الايطالية(برنشفيك، ١٩٨٨: ٢/ ٢٦٩-٢٧٠) ، فضلا عن انواع من الاقمشة الصوفية التي كان يجلبها التجار من أسواق شمال اوربا ، ومن اماكن صناعة النسيج، خاصة من جنوة وميلان، والسيوف التي تجلب من بيزة(الزهري، ٧٦، ٧٨ ؛ الطيبي، ١٣٩).

وكان التجار يتاجرون في تلك السلع من خلال نقلها بواسطة سفنهم من بلاد الشام ومصر لبيعها في اسواق المسلمين في شمال افريقيا، وفي اسواق جنوب أوربا ، فالنشاط الاقتصادي كان قائما على تصدير الفائض من سلع ومنتجات من بلاد المغرب الأوسط، وبذلك أصبحت موانئ بلاد المغرب الأوسط – نتيجة لتطورها العمراني – عبارة عن مراكز إستهلاك وإعادة توزيع؛ تستورد مقابل الذهب فرو الغابات الروسية، والسلاح المصنوع في امبراطورية الفرنجة، والخشب لإستعماله في صناعة السفن بصفة خاصة، والقصدير ، والرقيق الصقلبي(ابن خرداذبة، ١٩٦٧ : ١٥٣).

فمن الأدلة التي تظهر انتقال نشاط النقل التجاري لصالح الجمهوريات الايطالية، ما قاله (ابن جبير، ٨، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٤٩ ؛ جواتياين، ١٩٨٠: ٢١٣)، الذي يذكر المراكب الجنوية عدة مرات في رحلته، حينما سافر من سبتة إلى الاسكندرية على متن مركب جنوي، وعاد من عكا إلى مدينة مسينة في جزيرة صقلية على متن مركب جنوي آخر ، وسافر من اطرابنش بصقلية عائداً إلى الأندلس على متن مركب جنوي ، فضلا عن مراكب أخرى

للجنويين قابلها في صقلية قادمة من الأسكندرية في طريقها إلى الاندلس ، ويذكر أيضا انه قصد ميناء صور بعد ان أعلم ان بها مركبا بحريا يريد التوجه إلى ميناء بجاية طمعاً من أجل الركوب فيه. وهذا يدل على ان المراكب الجنوية كانت تقوم برحلات منتظمة عبر البحر المتوسط بين موانئ بلاد الشام ومصر وموانئ بلاد المغرب، وان المسلمين – حجاجهم ، وتجارهم – اعتادوا ان يستقلوها في اسفارهم(الطيبي، ١٤٦).

ويشير (ليون الافريقي، ٢/ ٢٩-٣٠، ٥٤، ٥٥): الى تردد عدد كبير من تجار جنوة والبندقية، إلى ميناء وهران، الذي يعد الميناء الرئيسي لمدينة تلمسان، أما مدينة القل – التي تحتوي على ميناء مزدهر – كانت مليئة بالصناع، ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود، تفيض عن حاجة السوق المحلية، فيحملها تجار جنوة الى مينائهم ، كما ان القمح كان يصدر من مدينة سكيكدة الى مدينة جنوة الايطالية .

ويمكن القول ان العلاقات التجارية مع الجمهوريات الايطالية استمرت بصورة طبيعية من خلال اطار معاهدات السلم والتجارة ، لهذا استمرت اعمال النقل البحري بمختلف اغراضها حتى بعد سقوط دولة الموحدين وفقا لمصالح التجارية للدول القائمة. وبعد سقوط دولة الموحدين وانقسام بلاد المغرب الى ثلاثة دول مستقلة ، كبني حفص في تونس، وبني عبد الواد (بني زيان) في المغرب الاوسط، وبني مرين في المغرب الاقصى، سعت كل واحدة منها إلى انعاش نشاطها الاقتصادي من خلال التعامل التجاري مع دول أوربا بصورة خاصة، لإن كل منها كانت تريد مزيدا من هذا النشاط لتقوية مركزها السياسي، فاستمرت خلالها العلاقات التجارية للمدن الايطالية مع بني زيان في المغرب الاوسط (جوليان، ١٩٦٩: ٢/١٧٨، ١٨١-١٨٢).

ان هذه الاتفاقيات التجارية، كان لها دور مهم وبارز للاطراف المتعاقدة على حرية الملاحة والابحار في موانئ المغرب الاوسط لمزاولة اعمال التجارة، فضلا عن توفير الحماية اللازمة للتجار من كلا الطرفين، الأمر الذي انعكس على تبادل تلك الأطراف مختلف انواع السلع والبضائع.

ثانيا: العلاقات التجارية مع جزيرة صقلية:

نالت جزيرة صقلية شهرة واسعة في صناعة المنسوجات القطنية الجميلة، والثياب الحريرية التي اكتسبت شهرة واسعة، وكانت تباع بأسعار غالية لجودتها وحسن صناعتها (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١٢٤)، فالعرب المسلمون كانوا قد أنشأوا دوراً لصناعة المنسوجات في مدينة بلرم، أشار (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١١٩ ، ١٢٢، ١٢٤) إلى وجود عدة أسواق للحلاجين والقطانين، والطرازين في مدينة بلرم، وكانت هذه الصناعة انتقلت من بلاد المغرب إلى صقلية، كذلك اشتهرت الجزيرة بصناعة حبال المراسي للمراكب، فضلا عما اشتهرت به

من صناعة الاحذية ودباغة الجلود ، لكثرة المواشي فيها من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم، ولهذا السبب كان يؤمها الكثير من التجار (ابن حوقل، ١٩٣٨: ١١٨؛ ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ٣، ٤١٧).

وكانت دولة الموحدين مسالمة للنورمان في جزيرة صقلية ، سيما بعد ان أجلاهم الموحدون عن مدن شمال افريقية الساحلية، والحقوا باساطيل صقلية هزائم بحيث اضطر النورمان الى التحالف مع الموحدين، حتى ان صاحب صقلية قام في سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، بدفع اتاوة للأمير ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) (ابن الاثير، ١٩٩٧، ١١/ ٤٤، ٤٨٦ ؛ المراكشي، ٢٠٠٦: ١٦٨)، " واتصلت إليه منه ذخائر لم يكن عند ملك مثلها ..." (المراكشي، ٢٠٠٦، ١٨٥)، لهذا ارتبطت جزيرة صقلية بطريق بحري عبر البحر المتوسط ، تنطلق من خلاله السفن من موانئ المغرب الاوسط بمحاذات الساحل الشرقي لبلاد الاندلس وموانئها المهمة ، مرورا إلى جزر البحر المتوسط ، مثل جزر البليار وجزيرة سردانيا، ومها إلى جزيرة صقلية (ابن جبير، ٣٢٤، ٣٤٨ ؛ مجهول ، ١٩٨٦: ١٣١).

وبذلك نشطت الحركة التجارية بين بلاد المغرب وغيرها من الأسواق العالمية آنذاك، إذ ابحرت السفن التجارية من موانئ المغرب الاوسط إلى الموانئ الأوربية ، وهي تحمل ما زاد عن حاجة البلاد ، وتجلب في طريق عودتها ما كان يعوزهم من سلع وبضائع(الفهداوي، ٢٠١١: ٣٢٥)، الامر الذي أسهم في زيادة حركة التبادل التجاري، المتمثل بعمليتي الاستيراد والتصدير مما أدى إلى انعاش البلاد اقتصادياً .

الخاتمة:

تبين لنا من خلال عرض هذا الموضوع اننا توصلنا الى النتائج الآتية:

أولاً :ان العوامل التي ساعدت على بروز العلاقات التجارية هو توفر عنصر الأمن الذي ساهم في زيادة أعمال التبادل التجاري. وبهذا اصبحت موانئ بلاد المغرب الأوسط مراكز مهمة للتجارة الخارجية، ونقاط استقطاب للتجار القادمين من البلدان الاسلامية والنصرانية، شهدت من خلالها التجارة الخارجية في حوض البحر المتوسط نشاط اقتصادي كبير ومزدهر.

ثانيا: نشطت الحركة التجارية بشكل كبير بين موانئ المغرب الأوسط والعديد من البلدان الاسلامية والنصرانية على السواء، من خلال تبادل الكثير من السلع والبضائع، إذ كان تجار المغرب الأوسط يتعاملون مع غيرهم بحرية وعلى نطاق واسع دون أي قيود، فمن الثابت ان الخلافات التي كانت سائدة في بلاد المغرب الاسلامي وشرقه لم يكن لها تأثير على حركة التجارة.

ثالثا: قامت العلاقات مع الجمهوريات الايطالية استمرت بصورة طبيعية من خلال اتفاقيات ومعاهدات السلم والتجارة، والتي استمرت حتى بعد سقوط دولة الموحدين وفقا لمصالح الدول التجارية.

Sources and references:

Sources:

1- Ibn al-Atheer (1997), Ali bin Muhammad al-Shaibani (died: 630 AH / 1232 AD), al-Kamel fi al-Tarikh, ed 1, Omar Abd al-Salam Tadmuri (investigator), Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi.

2- Al-Idrisi (1988), Abu Abdullah Muhammad (died: 560 AH / 1164 AD), Nuzhat Al-Mushtaq fi piercing the horizons, Beirut, Alam Al-Kutub.

3- Al-Astakhri (2004), Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad (died: 346 AH / 957 AD), Paths and Kingdoms, Beirut, Dar Sader.

4- Al-Baghdadi (1991), Abd al-Mumin ibn Abd al-Haq (died: 739 AH / 1338 AD), observatories to see the names of places and the Bekaa, 1st edition, Beirut, Dar Al-Jeel.

5- Al-Bakri (1992), Abi Abdullah bin Abdul Aziz (died: 487 AH/1094 AD), Paths and Kingdoms, Adrian van Leeuwen, and Andre Ferry (Investigator), Beirut, Dar al-Gharb al-Islami.

6- Al-Bakri (BDT), Abi Abdullah bin Abdul Aziz (died: 487 AH/1094 AD), Morocco in the mention of the countries of Africa and Morocco, part of the Book of Paths and Kingdoms, Baghdad, Al-Muthanna Press.

7- Tijani (1981), Tijani, Abdullah bin Muhammad (died: 675 AH / 717 AD), the journey of Tijani, Libya, Arab Book House.

8- Al-Jahiz (1994), Abu Othman Omar Ibn Bahr, (died: 255 AH / 868 AD), Insight on Trade in Describing the High Bags, Precious Bags and Jewels in Countries, Hassan Hosni Abdel-Wahhab (Investigator), Cairo, Al-Khanji Library.

9- Ibn Jubayr (BDT), Muhammad bin Ahmed bin Jubayr Al-Andalusi (died: 614 AH / 1217 AD), Ibn Jubayr's Journey, Beirut, Al-Hilal House and Library.

10- Ibn Hazm Al-Andalusi (1968), Ibn Saeed Al-Maghribi, and Al-Shaqkandi, The Virtues of Al-Andalus and its People, 1st Edition, Salah Al-Din Al-Munajjid (investigator), Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadeed.

11- Al-Humairi (1980), Muhammad bin Abdullah bin Abdel Moneim (T.: 900 AH / 1495 AD), Al-Rawd Al-Maatar in the news of the countries, Ihsan Abbas (Investigator), Beirut, Nasser Foundation for Culture.

12- Ibn Hawqal (1938), Abu al-Qasim Muhammad ibn Hawqal al-Nusabi (died: 367 AH / 977 AD), Image of the Earth, Beirut, Dar Sader.

13- Khusraw (1983), Nasser (died: 481 AH/1088 AD), Safar Namah, 3rd edition, Yahya al-Khashab (investigated), Beirut, Dar al-Kitab al-Jadid.

14- Ibn Al-Khatib Al-Gharnati (1956), Lisan Al-Din Muhammad bin Abdullah Al-Salmani (died: 776 AH / 1374 AD), Media Works in Man Who Were Selling Before We Wet from the Kings of Islam, 2nd Edition, Levi Provencal (Investigator), Beirut, Dar Al Makshouf.
15- Ibn Khaldun (1988), Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (died: 808 AH / 1406 AD), Lessons and Diwan of the Beginner and the News in the Days of Arabs, Non-Arabs, Berbers and their Contemporaries with the Greatest Sultan Known as (Tarikh Ibn Khaldun), 2nd Edition, Khalil Shahada (Investigator) Beirut, Arab Thought House.
16- Al-Khwarizmi (BDT), Muhammad bin Ahmed bin Yusuf (died: 387 AH / 997 AD), Keys to Science, 2nd Edition, Ibrahim Al-Abyari (investigator), Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
18- Al-Dimashqi (BDT), referring to the merits of trade, Al-Bishri Al-Shorbagy (investigator), Beirut, Dar Al-Tijaria Sader.
19- Ibn Said al-Maghribi (1955), Ali ibn Musa (died: 685 AH / 1286 AD), al-Maghrib fi Hila al-Maghrib, 3rd edition, Shawqi Dhaif (investigator), Cairo, Dar al-Maaref.
20- Al-Tabari (2000), Muhammad bin Jarir (died: 310 AH / 922 AD), Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, Ahmad Muhammad Shakir (Investigator), Beirut, Al-Resala Foundation.
18- Al-Dimashqi (BDT), referring to the merits of trade, Al-Bishri Al-Shorbagy (investigator), Beirut, Dar Al-Tijaria Sader.
19- Ibn Said al-Maghribi (1955), Ali ibn Musa (died: 685 AH / 1286 AD), al-Maghrib fi Hila al-Maghrib, 3rd edition, Shawqi Dhaif (investigator), Cairo, Dar al-Maaref.
20- Al-Tabari (2000), Muhammad bin Jarir (died 310 AH / 922 AD), Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, Ahmad Muhammad Shakir (Investigator), Beirut, Al-Resala Foundation.
21- Ibn Adhari (1983), Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad al-Marrakchi (died: 695 AH / 1295 AD), Al-Bayan al-Maghrib in the news of Andalusia and Morocco, 3rd edition, c. s. Colan, and Levi Provencal (investigator), Beirut, House of Culture.
22- Ibn Fadlallah Al-Omari (2002), Shihab Al-Din Ahmed Bin Yahya (died: 749 AH / 1348 AD), Paths of Vision in the Kingdoms of Al-Asar, 1st Edition, Abu Dhabi, Cultural Complex Publications.
23- Uncharted (1979), The Mushahly Hole in Remembrance of the Marrakesh News, Suhail Zakkar and Abdelkader Zamaa (Investigator), Casablanca, Dar Al-Rashad Al-Haditha.
24- Anonymous, (1983) mentioning the land of Andalusia, Luis Molina (investigator and translator), Madrid, Supreme Council for Scientific Research.

25- Unknown (2002) (died: after the year 372 AH), the borders of the world from east and west, Mr. Youssef Al-Hadi (investigator), Cairo, Cultural House.
26- Unknown (1986) (died in the 6 AH / 12th century AD), the book of insight into the wonders of the regions, Saad Zaghloul Abdul Hamid (investigator), Baghdad, Department of Cultural Affairs.
27- Al-Marrakchi (2006), Abdel Wahed Bin Ali (died: 647 AH / 1249 AD), the admirer of summarizing the news of Morocco from the time of the conquest of Andalusia to the end of the Almohad era, 1st edition, Salah Al-Dit Al-Hawari (investigator), Beirut, Al-Asriya Library.
28- Al-Maqdisi (1906), Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Al-Bashari (died: 390 AH / 999 AD), the best divisions in the knowledge of the regions, Beirut, Dar Sader.
29- Al-Maqri (1997), Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad Al-Telmisani (died: 1041 AH / 1631 AD), the good smell of the fresh branch of Andalusia, and its minister was mentioned by Lisan Al-Din bin Al-Khatib, Ihsan Abbas (Investigator), Beirut, Dar Sader.
30- Ibn Mamati (1991), Al-Asaad bin Al-Muhadhab bin Abi Malih, (died: 606 AH / 1209 AD), Laws of Diwans, Aziz Surial Attia (Investigator), Cairo, Madbouly Library.
31- Ibn Manzur (1993), Jamal al-Din Muhammad bin Makram al-Ansari (T.: 711 AH / 1311 AD) Lisan al-Arab, 3rd edition, Beirut, Dar Sader.
32- Ibn al-Wardi (1996), Siraj al-Din Abu Hafs Ibn Omar (died: 861 AH / 1457 AD), The Wonders of Countries through the manuscript of Khurraydah al-Ajaa'ib and Farida al-Ghareeb, Anwar Mahmoud Zanati (investigator), Cairo, Library of Religious Culture.
33- Ibn al-Wardi (1996), Zain al-Din Omar Ibn Muzaffar Ibn Omar (died: 749 AH / 1349 AD), History of Ibn al-Wardi, 1, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (died: 1417 AH / 1996 AD),
34- Yaqout al-Hamawi (1977), Shihab al-Din bin Abdullah (died: 626 AH / 1228 AD), Lexicon of Countries, Beirut, Dar Sader.

the reviewer:

1- Arslan (B.D.T), Shakib, Al-Sindusiyyah in Al-Akhbar and Andalusian Antiquities, Beirut, Al-Hayat House and Library Publications.
2- Pankiar (1998), K. Madhu, Paganism and Islam, History of the Negro Empire in West Africa, 2nd Edition, Ahmed Fouad Balbaa (translator), Publications of the Supreme Council of Culture.
3- Badr (1983), Ahmed, Studies in the History and Civilization of Andalusia, Cairo, Atlas Publishing and Distribution House.

4- Brunschvik (1988), Robar, African History in the Hafsid Era, Hammadi Al-Sahili (Translator), Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.
5- Provencal (BDT), Levi, The Arab Civilization in Andalusia, Thouqan Karkout (Translator), Beirut, Al-Hayat Library Publications, (, Bla T).
6- Jack (BDT). S. Ressler, The Arab Civilization, Ghoneim Abdoun (Translator), Cairo, The Egyptian House of Composition and Translation
7- Gwatien (1980), S.D., Studies in Islamic History and Islamic Systems, 1st Edition, Attia Al-Qusi (translator), Kuwait, Publications Agency.
8- Julian (1969), Charles Andre, History of North Africa, Mohamed Mazali and Bashir Ben Salama (translator), Tunisia, Tunisian Publishing House.
9- Al-Jilali (1965), Abdel-Rahman, General History of Algeria, 2nd Edition, Beirut, Dar Al-Hayat.
10- Hassan (1980), Ali Hassan, Islamic Civilization in Morocco and Andalusia (The Almoravid and Almohad Era), 1st Edition, Cairo, Al-Khanji Press.
11- Al-Zuhri (BDT), Muhammad bin Abi Bakr, Geography book, Muhammad Hajj Sadiq (investigator), Cairo, Religious Culture Library.
12- Salem (1969), Mr. Abdel Aziz, and Al-Abadi, Ahmed Mokhtar, History of the Islamic Navy in Morocco and Andalusia, Beirut, Arab Renaissance House.
13- Al-Salawi (1954), Abu Al-Abbas Ahmed bin Khaled Al-Nasiri (T.: 1315 AH / 1897 AD), Investigation of the News of the Far Maghreb Countries, Jaafar and Muhammad Al-Nasiri (Investigator), Casablanca, Dar Al-Kitab.
14- Tarkhan (1970), Ibrahim Ali, the Islamic Empire of Ghana, Cairo, the Egyptian General Authority for Authoring and Publishing, the Cultural Press.
15- Taha (2001), Jamal Ahmed, The City of Fez in the Modernity of the Almoravids and Almohads, (448-668 AH/1056-1269 AD), a political and civil study, Alexandria, Dar Al-Wafa Ladina for Printing and Publishing.
16- Tawil (1994), Maryam Qassem, The Kingdom of Almeria in the Era of Al-Mu'tasim bin Samadh 443-484 AH/1051-1091 AD, 1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
17- Al-Tibi (BDT), Amin Tawfiq, Studies in the History of Morocco and Andalusia, Beirut, Arab Book House.
18- Ali (2001), Jawad, the detailed history of the Arabs before Islam, 4th edition, Beirut, Dar Al-Saqi.
19- Al-Ghunaim (1973), Abdullah Youssef Al-Ghous, Al-Lulu' in the Ancient Arab Sources, Kuwait, Dar Al-Silsil for Printing and Publishing.
20- Al-Fahdawi (2011), Hazem Muhammad Jeeran, The Andalusian Naval Fleet and its commercial role from the second century AH until the end of

the sixth century AH, unpublished doctoral thesis, University of Anbar, College of Arts.
21- Kahala (1964), Omar Reda, The Geography of the Arabian Peninsula, Cairo, New Faggala Press.
22- Constable (1998), Olivia Remy, Muslim Merchants in the International Trade of Andalusia, research published in the book: Islamic Civilization in Andalusia, 1st Edition, Beirut, Center for Arab Unity Studies, (, 1419 AH / 1998 AD), vol. 2, p. 1063.
23- Lumbar (1990), Morris, Islam in its glory in the first century (2-5 AH/8-11 AD), 3rd edition, Ismail Al-Arabi (translator), Morocco, New Horizons publications.
24- Mahmoud (1957), Hassan Ahmed, The Rise of the Almoravid State, Cairo, The Egyptian Renaissance Library.
25- Musa (1983), Izz El-Din Ahmed, Economic Activity in the Islamic Maghreb during the Sixth Hijri Century, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Shorouk.
26- ======= (1991), The Unitarians in the Islamic West, Their Organizations and Organizations, 1st Edition, Beirut, Dar al-Gharb al-Islami.
27- Al-Mili (BDT), Mubarak bin Muhammad, Ancient and Modern History of Algeria, Beirut, Dar Al-Kitab.